

بانفصال مفرداتها عن تراكيبيها (ص ٤٣٨-٤٣٩) وهو ما ينمّ عن بصيرة عميقة عند صاحب المقدمة في أمر الظاهرة اللغويّة ممّا يلحق الاكتساب عن طريق المنشأ الطبيعيّ بقوانين الإدراك الشموليّ حيث يعي الإنسان الكلّ دون أن يكون حتماً قد وعى أجزائه.

وبعد أن يقرّر ابن خلدون كيف «إنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده يتطرّق إلى تحديد فكرة الملكة بالاعتماد على مستويين : الأول فصل أبنية الدّوال في الكلام عن أبنية المدلولات، والثاني بيان مراتب التعبير لإبلاغاً أو إبداعاً. ويحلّل في هذا المضمّار كيف تنحصر مواضع اللغة باعتبارها جملة القوانين المرتبة لبنائها في نسيج الدّوال اللغويّة لأنّ الذي في اللسان والنطق - على حدّ عبارته - إنّما هو الألفاظ، وأمّا المعاني فهي في الضّمائر، موجودة عند كل واحدة وفي طوع كل فكر. وهكذا يكون تأليف الكلام للعبارة عن المعاني محتاجاً للقوالب التي تقرّرها المواضع اللغويّة.

وينتهي ابن خلدون إلى أنّ «الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن، بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه» (ص ٥٧٧-٥٧٨) فيكون مفهوم الملكة اللغويّة متطابقاً مع مبدأين أساسيين هما مبدأ العلم والمعرفة، ومبدأ القدرة أو الاستطاعة وبينهما من التفاعل العضويّ مثل الذي بين الإدراك والتعبير أي مثل ما بين التلقّي والبث، أو قل التفكيك والتركيب. ويتناول ابن خلدون - على عادته في تعقب مزالق الدّارسين حينما تفوتهم صرامة المصطلح أو تغيب عنهم أسرار